مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية

اسم المقال: خطب ابن نباتة الفارقي، 1- المضمون والبناء الفكري
اسم الكاتب: د. لميس عبد العزيز داود
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2792
تاريخ الاسترداد: 2026/06/05 01:00 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

خطب ابن نباتة الفارقي، 1– المضمون والبناء الفكري

د. لميس عبد العزيز داود*

الملخص

الخطابة فنّ أصيل من فنون الأدب العربي، فنٌّ لا يرقى إلى مستواه من حيث الأهميّة والتأثير أيُّ فنٍّ آخر، ويُعَدّ ابن نباتة الخطيب من أهم خطباء بني العباس في القرن الرابع الهجري، وأفصحهم لسانًا وأبلغهم، لذلك كان لهذه الدراسة أهميّة خاصّة، لجدّتها، فالخطابة في العصر العباسي لم تحظ بالاهتمام والتحليل والدراسة من قبل الدارسين، باستثناء لمحات سريعة في كتب الأدب، وقد يكون لهم في ذلك بعض العذر، لأنّ الخطابة (السياسيّة، والاجتماعية، والحَفْلِيّة) اضمحلّت تقريبًا في القرن الرابع الهجري، واقتصرت على الخطابة الدينيّة، والخطابة الحربيّة على نحوٍ أقلّ، لأسباب كثيرة. هدفت الدراسة إلى التعريف بخطيب الخطباء ابن نباتة الفارقي، ودراسة خطبه، من حيث المضمون والبناء الفكري، ومن حيث البناء الفنّي، على أن تتمّ دراسة البناء الفنّي في مقالة أخرى. كما تمّت دراسة مصادر المعاني، ووظائف خطبه (الوظيفية التأثيريّة، والوظيفة التعبيريّة، والوظيفة السياسيّة، والوظيفة الجماليّة). ومن حيث البناء الفكري: تقوم كل خطبة من خطبه على (المقدّمة، والعرض، والخاتمة)؛ فقد استهلّ خطبه الدينيّة والحربيّة بالحمد والتمجيد، والحمد فيها ليس حمدًا عفويّا يأتي به الخطيب كما يتّفق له، وإنّما هو حمد دقيق معقَّد يصوّر الله في الصورة الملائمة التي تناسب عمق الثقافة ونشاط المذاهب الكلاميّة في هذا العصر. وقد لجأ ابن نباتة، في العرض، إلى مجموعة من الأدلّة الوجدانيّة الخطابيّة، والأدلّة العقليّة المنطقيّة، ليبلغ الغاية في إقناع الجماهير، والتأثير في نفوسهم. أمّا الخواتم، فقد اتّسمت عند خطيبنا بقوّة العبارة، ليهزّ المشاعر، وبقصرها، فختام الحديث هو أكثر العناصر أهمية، وما يُقال أخيرًا يغلب أن يبقى في الذاكرة طويلًا.

وتوصّلت الدراسة إلى بيان الوحدة، والترتيب، والتسلسل، والتنظيم في هذه الخطب.

ومن الجدير ذكره أنّه تمّ اتباع المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الاستقرائي، كما أفادت الدراسة من معطيات علم النفس، والفلسفة الأرسطيّة التي اهتمّت بالخطابة اهتمامًا خاصًّا..

* جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية.

Ibn-Nubata AlFariki Oratory, 1- The Sense and Ideational Structure

Dr. Lamees Abd Al Aziz Daoud**

Abstract

Oratory is a genuine art which is considered one of the arts of the Arabic Literature. It is a unique art, no other art can be more important and effective than it.

Ibn Nubata Al-Fariki is one of the most outstanding Orators of Abbasid era and he was the most fluent and eloquent of them, and for this reason this study is of the special importance. This research is important as Oratory in Abbasid Time has not been given enough attention in research yet.

The Study aims to introduce Ibn-Nubata, and analyze his orations in context and intellectual and artistic structure. As to the intellectual structure: each Oration consists of the introduction, and the premiering, and the conclusion: Ibn_Nubata starts his religious and warmongering orations by declaring the glory of Allah. As to the premiering, Ibn Nubata depended on the intellectual and emotional evidence, so that he persuades people and influence their psychology. As for the concluding parts, they are written eloquently and effectively.

Lastly, the study shows the order, harmony and Organization in these orations.

** Damascus University, Faculty of Arts and Humanities, Department of Arabic Language.

مفهوم الخطابة:

أ/لغة: مصدر خطب يخطب خطبة وخطابة، جاء في (لسان العرب): «...الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا، وخطب الخاطب على المنبر، واختطب يخطب خطابة، واسم الكلام: الخُطبة، بالضم،... وخطبتُ المرأة خطبة، بالكسر.. والخطبة، مثل الرسالة، التي لها أول وآخر»[1].

وجاء في (القاموس المحيط): «خطب الخاطِبُ على المِنْبَر خَطابةً وخُطْبَةً، وذلك الكلام خُطْبَةٌ وهي الكلام المنثور المُسَجّع ونحوه ورجلٌ خطيبٌ حَسَنُ الخُطْبَةِ»[2].

وذكر الزمخشري في المادة ذاتها: «خاطبه فأحسن الخطاب أي: المواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة، وخطب الخاطب خِطْبة جميلة وكثر خطّابها»[3].

ب/اصطلاحًا:

يُراد من الخطابة ملكة الاقتدار على الإقناع، واستمالة القلوب، وحمل الغير على ما يُراد منه، ويؤيّده ما نُقِل عن أرسطو في تعريفها حيث قال: «هي قوّة تتكلّف الإقناع الممكن في كل واحدٍ من الأشياء المفردة»[4]، وللخطابة غاية ذات شأن خطير، وهي إرشاد الناس إلى الحقائق، وحملهم على ما ينفعهم في العاجل والآجل، وهي معدودة من وسائل السيادة والزّعامة[5]. ويقول د.أحمد الحوفي في تعريف الخطابة: «هي فنّ مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته، فلابدَّ في الخطابة من مشافهة وإلا كانَتْ كتابة أو شعرًا مدوَّنًا،، ولابدَّ من جمهور يستمع، وإلا كان الكلام حديثًا أو وصيّة، ولابدَّ من الإقناع، وذلك بأن يوضح الخطيب رأيه للسامعين، ويؤيّده بالبراهين، ليعتقدوه كما اعتقده... ثمّ لابدَّ من الاستمالة، والمراد بها أن يهيّج الخطيب نفوس سامعيه أو يهدئها، ويقبض على زمام عواطفهم يتصرّف بها كيف شاء، سارًّا أو محزنًا، مضحكًا أو مبكيًا، داعيًا إلى الثورة أو إلى السّكينة»[6] وإذن فأسس الخطابة: مشافهة، وجمهور، وإقناع، واستمالة.

---

[1]– ابن منظور، مادة (خطب).

[2]– مادة (خطب).

[3]– أساس البلاغة: ص: 114.

[4]– تلخيص الخطابة: ص: 15.

[5]– انظر: الخطابة بيّن النظرية والتطبيق: ص: 12.

[6]– فنّ الخطابة: ص: 9.

ومن المعروف أنّ الخطابة قد وصلت في صدر الإسلام إلى الذّروة وبلغت كمال أوجها، وجاء العصر الأموي فوجدت الخطابة لها غذاء من الفتن والصّراع بين الفِرَق والأحزاب المختلفة، ومدار هذا الصراع على الخلافة[1]، أمّا في العصر العبّاسي، فقد نشطت الخطابة السياسيّة في مطلع هذا العصر؛ إذ اتخذتْها الثورة العباسيّة أداتها في بيان حقّ بني العبّاس في الحكم، وكان من خطباء هذا العصر خلفاؤه الأوائل كأبي العبّاس السفّاح، وأبي جعفر المنصور، والمهدي والرشيد، وآل بيتهم، ومنهم داود بن علي وإخوته عبد الله وسليمان، وصالح، وأبناؤهم.. وقد وصفهم الجاحظ بأنهم «لم يكن لهم نظراء في أصالة الرأي وفي الكمال والجلالة.. مع البيان العجيب والغور البعيد.. وكانوا فوق الخطباء وفوق أصحاب الأخبار»[2]، ولمّا تمّ الأمر لبني العبّاس، وقضوا على أعدائهم الأمويّين، ثمّ على شركائهم الشيعة، خفتَتْ حدّة القول، ولم يعد ثمّة ما يحفّز الخطباء على التصدّي للناس، واصطناع الترهيب والترغيب.

كذلك ضؤلت الخطابة في الجيوش بعد أن انقضى عهد الفتوح، والجنود في الجيش نفسه صار الكثيرون منهم أعاجم، فرسًا أو تركًا، لا يفقهون العربية ولا يتأثّرون ببلاغتها.

ولم يعد للخطابة في النفوس بوجه عام ما كان لها من منزلة في عصر الراشدين والأمويين، حين كان الفنّ العربيّ الأصيل الذي كان قوامه البديهة والارتجال. وهكذا انحسرت الخطابة في ضحى العصر العباسي، وكاد شأنها يقتصر على فئة الوعّاظ وأئمّة المساجد، ولم تعد تتجاوز في غالب الأحوال نمط الخطابة الدينيّة[3].

وعلى الرغّم ممّا أصاب الخطابة من ضعف، إلا أنّها انتعشَتْ في بعض الأحوال والبلاد، خاصّة ما يتعلّق بخطب الحرب والحثّ على الجهاد. واشتهر من هؤلاء الخطباء ابن نباتة الفارقي، الذي كان يلقي خطبًا بليغة لتحميس جنود سيف الدولة الحمداني، لقتال الروم[4]، كما كانت له خطب أخرى، دينية، غايتها الوعظ والإرشاد

---

[1]- انظر: الخطابة العربية في عصرها الذهبي: ص: 31-53/32.

[2]- البيان والتبيين: ص: 271/1.

[3]- انظر: مواكب الأدب العربي عبر العصور: ص: 114-116؛ والعصر العباسي الثاني: ص: 526، 527.

[4]- انظر: وفيات الأعيان: ص: 156/3؛ وظهر الإسلام: ص: 185/1.

التعريف بابن نباتة:

هو أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة، وهو من أهل (ميّافارقين)، لذا يقال نسبة إليها: الفارقي، والحُذَاقي، نسبةً إلى حذاقةَ بطنٍ من قضاعة، ولد سنة خمس وثلاثين وثلاثمئة (335هـ) في ميافارقين، ثم سكن حلب فكان خطيبها، وبها اجتمع بأبي الطيب المتنبي، وقيل إنّه سمع عليه بعض ديوانه[1]، توفي ابن نباتة سنة أربع وسبعين وثلاثمئة بـ(ميافارقين) ودفن فيها، وقيل بـ(حلب)[2].

بلاغته وجودة قريحته: كان ابن نباتة إمامًا في علوم الأدب، رُزِق السّعادة في خُطبه التي وقع الإجماع على أنه ما عُمِل مثلها، وفيها دلالة على غزارة علمه وجودة قريحته[3]: قال الذهبي عنه: «الإمام البليغ الأوحد، خطيب زمانه،... كان فصيحًا مفوّهًا، بديع المعاني، جَزْل العبارة»[4].

وقد اهتمّ النّقاد القدامى بتعقّب خطبه ومناقشتها، فعرض له ابن أبي الحديد في مواضع كثيرة من كتابه (شرح نهج البلاغة)[5]، كما عرض له ابن الأثير في كتابه المثل السائر[6]، السائر[6]، غير أنّنا لا نجد من المحدثين من اهتمّ بدراسة هذه الخطب، وإنّما نجد ذكرًا لها عابرًا [7].

---

[1]– ترجمته في: مرآة الجنان: ص: 302/2؛ وفيات الأعيان: ص: 156/3؛ وشذرات الذهب: ص: 220/6؛ وسير أعلام النبلاء: ص: 332/12؛ وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: ص: 61/4، وله ديوان خطب، ممَّن اهتمّ بشرحه: أبو البقاء عبد الله بن حسين العكبري (616هـ)، والشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف المعروف بابن اللباد (629هـ)، والشيخ طاهر الجزائري (1338هـ).

[2]– يذكر ابن خلكان، واليافعي، روايةً عن موته مفادها أنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم في منامه، وخطب أمامه وأجاد، فسمّاه الرسول خطيب الخطباء، ونقل في فيه، ودعا له قائلًا: وفقك الله، وعاش بعد ذلك ثمانية عشر يومًا لا يستطعم فيها طعامًا ولا شرابًا من أجل تلك النقلة وبركتها؛ وانظر: وفيات الأعيان: ص: 156/3–157؛ ومرآة الجنان: ص: 302/2.

[3]– وفيات الأعيان: ص: 3–156.

[4]– سير أعلام النبلاء: ص: 332/12؛ ونجد هذا الكلام في جميع المصادر التي ترجمت له.

[5]– انظر: جـ1: ص: 2؛ وجـ2: ص: 80، 81، 83؛ وجـ5: ص: 151؛ وجـ7: ص: 215 وما بعدها، حيث عقد موازنة بين كلام الإمام علي (عليه السلام)، وخطب ابن نباتة، ثم قال: «فليس بمستنكر منا أن نذكر كلام ابن نباتة في معرض إيرادنا كلام أمير المؤمنين عليه السلام لتظهر فضيلة كلامه عليه السلام، بالنسبة إلى هذا الخطيب الفاضل، الذي قد اتفق الناس على أنه أوحد عصره في فنه»، ص: 216 من الجزء السابع، وجـ13: ص: 114.

[6]– ص: 170/1.

[7]– انظر: النثر الفني في القرن الرابع: ص: 192/2؛ وضحى الإسلام: ص: 112/2؛
ومن الجدير ذكره أنّ خطب ابن نباتة لم تسلم من سطو هواة السّرقات الأدبية، فسطا عليها بعضهم وزوّر خطبًا ركيكة وسجعًا ممجوجًا نسبها لابن نباتة، مستغلًا شهرته الأدبيّة ورواج خطبه، من هذه النسخ التي تحوي بعض الخطب المزوّرة:

الدراسة التحليلية للخطب:

العناصر الموضوعية:

حاول بعض النقاد تعريف البنية في الشعر والنثر بأنها جملة المبادئ التي تحكم عملية التوليد الشعري أو النثري بحيث يتبع كل عنصر عنصرًا آخر، فالبنية هي المصطلح الأعم الذي يتحدّد نتيجة لمبادئ أخرى ذات طابع شكلي موضوعي تتحكم في توليد العمل الأدبي وخلقه، ويترتب عليها النظام الذي تتخذه الوحدات المكوِّنة، أما الشكل فهو على هذا الاعتبار ليس سوى الهيكل الناجم عن قوانين الصياغة ومبادئ التكرار والقوالب التي توضع فيها عناصر معينة، ويعود التمييز بينه وبين الموضوع إلى الطبيعة المزدوجة للمادّة المكوِّنة للأدب (اللغة)، حيث نجد فيها أولًا جانبًا طبيعيًا يتصل بالظاهرة الصوتية وجانبًا آخر رمزيًا يتمثل في قدرة هذه المادة على إثارة تصوّرات ذهنية دلالية. ومن هنا فإن العناصر التي تتصل بالجانب الصوتي والجمالي للكلمات تسمى (عناصر شكلية)، وتلك التي تنجم عن الدلالة الرمزية تسمى (عناصر موضوعية)[1].

وسنبدأ بدراسة المضمون والعناصر الموضوعية، على أن تتم دراسة العناصر الشكلية في مقالة أخرى.

أولًا: مضامين خطب ابن نباتة:

- **خطب حربيّة**[2]: كان ابن نباتة يلقيها على جنود سيف الدولة الحمداني ليشجّعهم، ويزيد من حماستهم، ويبثّ فيهم روح الفداء والتضحية، قال نابليون بونابرت: «إنّ نسبة القوّة المعنويّة إلى القوّة الماديّة في الانتصار كنسبة ثلاثة إلى واحد»[3].

- **خطب دينيّة**: مضمونها:

* الكلام في التوحيد والعدل وصفات الباري تعالى وتنزيهه عن شبه الخَلْق[4].

* الوعظ والإرشاد الديني[5]، عن طريق الترغيب مرة، والترهيب مرة أخرى (يتضمّن خطبًا موضوعها الزهد وذمّ الدنيا، الفتنة والنهي عن الخوض فيها، ذِكْر الموت، ذكر يوم القيامة. وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فصول في الأدعية).

طبعة المطبعة الشرفية المصرية سنة (1302هـ)، وطبعة المطبعة المليجيّة بالقاهرة سنة (1325هـ)، ومن النسخ القديمة الصحيحة: خطب ابن نباتة بشرح الأمير طاهر الجزائري، وهي التي سنعتمدها في بحثنا هذا.

[1] انظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي: ص: 197.

[2] بلغ عددها ثلاث وعشرون خطبة. انظر: ص: 93، 130-172، 198-203.

[3] الخطابة، تاريخها، قواعدها، آدابها: ص: 150.

[4] هذا المعنى موجود في معظم خطبه الطويلة، خاصة الخطب التي يذكر فيها تصريف الزمان والمعاد، انظر مثلًا: ص: 9، 20، 24، 26، 29، 31، 36، 42، 47...الخ.

[5] بلغ عددها اثنتين وخمسين خطبة، انظر: ص: 9-73، 74، 76، 79-93، 102، 174-184، 205-233، 294-298.

* خطب المناسبات[1] (تتضمّن خطب الشهور والمواقيت، عيد الفطر، يوم النّحر، الاستسقاء، الكسوف، ختم القرآن).

– **خطب اجتماعية**[2]: تتضمّن خطب النّكاح، وهي خطب كان يلقيها أهل الخاطب في أهل الفتاة، يشيدون بمكانة أنفسهم، ويعرضون على أهل الفتاة رغبتهم في الإصهار إليهم، ويحدّدون المهر، ويذكرون من محامد العروس ما يكافئ مكانة المخطوب إليهم. وكان من سننها أن يطيل الخاطب ويقصِّر المجيب[3].

مصادر المعاني:

– **الواقع والتاريخ:**

إذا كانت الخطابة في هذا العصر قد برزت سياسيًا مع استلام العباسيّين لمقاليد السّلطة، فإنّها ضعفت بعد القضاء على الثورات التي قامت ضد العباسيين، ولاسيّما أنّ العباسيّين كَمُّوا الأفواه، وأخذوا الناس بالشدّة، فضعفت الأحزاب، وصودرت الحريّات السياسيّة، كما سرى الضّعف إلى الخطابة الحفليّة إذ وضع الأعاجم، والجند الأتراك، حاجزًا بين الخلفاء وبين الوفود التي كانت تقصدهم، أمّا الخطابة الدينيّة فقد بقيت مزدهرة، ونشطت نشاطًا عظيمًا في المساجد؛ فقد كانت تُعْقَد حلقات للوّعاظ والقُصَّاص وكان الناس يتحلّقون من حولهم فيما يشبه احتفالات الأعياد[4]. ومن هؤلاء الخطباء الوعّاظ كان خطيبنا ابن نباتة. وخطبه تشهد بأَنْ كان لها أبلغ الأثر في الناس في زمنه[5]، ففي إحدى خطبه هدّأ من رَوْع الناس، لاضطرابٍ وقع بهم وخوفٍ عند فتح العدوّ حلب في ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وثلاثمئة، ذاكرًا الأدلّة والحُججَ، والحكمة من انتصار عدوّهم: «ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم، ولكن ليبلوَ بعضكم ببعض، فاستشعروا عباد الله الثبّات في مختطف الأرواح، ومختلف الرماح. عند هيقعة الصوارم،

---

[1]– بلغ عددها تسعًا وثلاثين خطبة، انظر: ص: 98، 100، 105–126، 184–195، 235–288، 305، 319.

[2]– بلغ عددها ثلاث خطب فقط، انظر: ص: 301–305.

[3]– انظر: البيان والتبيين: ص: 114/1، 115؛ وانظر أيضًا: الخطابة العربية في عصرها الذهبي: ص: 226–227.

[4]– انظر: ظهر الإسلام: ص: 112/2؛ وانظر: العصر العباسي الثاني: ص: 526–527.

[5]– ذكر ابن العماد في (شذرات الذهب)، وابن خلكان في (وفيات الأعيان)، بأنّ ابن نباتة هو الذي حثّ سيف الدولة بخطبه في الحرب على التوسّع فيها. انظر: جـ4، ص:397، وجـ3، ص:156، على الترتيب.

وشغشغة اللهاذم، وهينمة الغماغم، وزمزمة الهماهم.. وكَرّات الخيل، في هبوات كالليل، ولمع البواتر في نقع كالدياجر، واعتناق القساطل عند اصطفاق الجحافل»[1].

- الثقافة والتجربة الشخصية:

يبدو ابن نباتة في خطبه الحربيّة متأثِّرًا بالإمام علي رضي الله عنه، فهو يذكر فضل قتال الأعداء، ويحمّس الجند وينهاهم عن القعود عن الحرب، ولو رجعنا لخطبة الإمام علي التي يقول فيها: «..ألاَ وإنّي قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلًا ونهارًا، وسرًّا وإعلانًا، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غُزِيَ قومٌ في عقر دارهم إلاّ ذلّوا، فتواكلتم وتخاذلتم، حتى شُنَّت الغارات عليكم ومُلِكت عليكم الأوطان... فيا عجبا- والله يميت القلبَ ويجلب الهمّ- من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرّقكم عن حقّكم فقبحًا لكم وتَرَحًا، حين صرتم غرضًا يُغار عليكم ولا تغيرون..»[2].

فكلام عليّ رضي الله عنه، جاء مناسِبًا للمخاطَبين، من الكوفيين الذين تخاذلوا عن نصرته، بلا لغو ولا إبهام، يصبّ في الضّمائر الحيّة حميم الغضب ضدّ الأعداء، ويستنهض الهمم العالية للرجال، ويثير الحماسة في قلوب الجماهير. وابن نباتة- في معظم خطبة الحربية- يستلهم هذه الخطبة للإمام عليّ - رضي الله عنه - وغيرها من الخطب، يقول ابن أبي الحديد: «واعلم أنّ التحريض على الجهاد، والحضّ عليه قد قال فيه الناس فأكثروا، وكلّهم أخذوا من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فمن جيّد ذلك ما قاله ابن نباتة الخطيب: «أيّها الناس إلى كم تسمعون الذّكر فلا تعون!، وإلى كم تُقْرَعون بالزّجر فلا تقلعون، كأنّ أسماعكم تمجّ ودائع الوعظ، وكأنّ قلوبكم بها استكبار عن الحفظ، وعدوّكم يعمل في دياركم عمله، ويبلغ بتخلّفكم عن جهاده أمله...»[3].

ومن الطبيعي أن يكون ابن نباتة قد وعى الثقافة العربية الإسلامية، قرآنًا، وحديثًا، وأخبارًا، وشعرًا، ونثرًا (خطب السّابقين له، بصورة خاصة)[4] فهذه - كلُّها - مصادر مهمّة من مصادر خطبه التي اشتهر بها، يقول: «حفظتُ من الخطابة كنزًا لا يزيده الإنفاقُ إلاّ

---

[1]- الهيقعة حكاية أصوات السيوف عند وقعها، والشغشغة: تصويت الرماح عند الطعن، واللهاذم جمع لهذم وهو القاطع من الأسنّة، الهينمة: الحديث على هدوء وسكون، والغماغم الأصوات المختلفة، والهماهم جمع همهمة وهي ترديد الصوت وهمهم الأسد إذا ردّد زئيره. ص: 142.

[2]- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ص: 74/2.

[3]- المصدر السابق: ص: 80/2- 81.

[4]- انظر: مرأة الجنان: ص: 302/2؛ وفيات الأعيان: ص: 156/3.

سعةً وكثرةً، حفظتُ مئة فصلٍ من مواعظ عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[1].

كما يظهر تأثّره الواضح بأسلوب أبي حيان التوحيدي الوعظي في كتابه (الإشارات الإلهيّة)[2].

وظائف خُطَبه:

1- الوظيفة التأثيريّة:

أشار إليها النّقاد العرب القدامى، الذين حرصوا أن يكون مفهوم الأدب غير مكتمل إلا بمراعاة استجابة المتلقّي، كما في قول الباقلاني: «إذا علا الكلام في نفسه، كان له من الوقع في القلوب والتمكّن في النفوس، ما يُذهِل ويُبهج، ويُقلق ويؤيس، ويُطمع ويؤيس، ويُضحك ويُبكي، ويُحزِن ويفرح، ويسكن ويزعج، ويُشجي ويطرب، ويهزّ الأعطاف، ويستميل نحوه الأسماع، ويورث الأريحية والهزّة»[3].

فالأديب يعمل على تغذية النفوس بالحقّ والجمال، لكن هذه النفوس المختلفة الأذواق، تجعلنا نقول بأنّ مهمة الأديب، كما يرى الناقد محمد مندور، هي إيقاظ النفس إلى ما تملكه، ونحن بعد ذلك لا نكتب لنسكب ما في نفوسنا في أنفس الغير، وإنما لنعين كل نفس على الوعي بمكنونها، إذْ النفوس عامرة بكل حق وجمال، والقول الجيدِ هو ما يأخذ بتلك النفوس إلى حيث يستقرّ منها ذلك الحق وذلك الجمال[4].

ولا ريب أنّ خطب ابن نباتة قد أدّت وظيفتها التأثيريّة على أكمل وجه، فابن أبي الحديد في شرحه نهج البلاغة، يحدّثنا أنّ خطب ابن نباتة كانت منشورة بين أيدي الناس يغرمون بها ويُكبّون عليها[5]؛ ويعارضونها[1]، كما يؤكّد د.إحسان عبّاس، أنّ خطب ابن

---

[1]- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ص: 24/1؛ وذكر د. زكي مبارك في كتابه (النثر الفني في القرن الرابع)، أنّ ابن نباتة كان يحفظ خطب علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، ويتأثرها في جميع مواقفه الخطابية، انظر: ص: 199/2.

[2]- وقد يكون أبو حيان هو مَنْ تأثر بابن نباتة، فالرجلان عاشا في القرن الرابع الهجري (توفي ابن نباتة 374هـ، وأبو حيان 400هـ)، ولا يمكن إثبات من الذي تأثّر بالآخر، إثباتًا قطعيًا. انظر مثلًا قول أبي حيان: «.. ويا أيها الساعي على نفسه بحتفه! إلى متى تغترُّ وأنت تظنُّ أنّك غير مغترّ؟ وإلى متى تدبر وأنت عندك أنّك مقبل؟ وإلى متى تصمُّ، وأنت في حسابك أنّك تسمع؟ وإلى متى تعمى وفي تقديرك أنك مُبْصِر؟ وإلى متى تحسب أنك رابح وأنت عين الخاسر؟!» ص: 147، ونجد في خطب ابن نباتة تشابهًا كبيرًا مع هذه الأقوال للتوحيدي، سواء من جهة المبنى أو المعنى.

[3]- إعجاز القرآن: ص: 192.

[4]- انظر: عشرة أدباء يتحدّثون: ص: 261-262.

[5]- انظر: ص: 80/2-81؛ و ص: 151/5؛ و ص:216/7.

ابن نباتة أصبحت: «هي النّموذج الرّفيع الذي يُحتَذَى»[2] لدى كتاب النثر الأندلسي، وأنّها صارت في أنفسهم تساوي رسائل المعري، ومقامات الحريري[3].

2- الوظيفة التعبيرية:

تتدخّل في هذه الوظيفة ذات المرسِل[4]، وذلك من خلال انفعالاته وتعابيره الذاتية، ومواقفه وميوله الشخصية والإيديولوجية، فهو:

أ) يعتمد الوسائل المختلفة لإقناع السامعين بصواب قضية أو بخطأ أخرى، مستعينًا على ذلك بالأدلة والبراهين، وبما تشتمل عليه خطبته من صدق النظرة إلى المشكلة، وصحة تعليلها وتحليلها، وتبيان أجزائها المختلفة والعوامل المتصلة بها.

ب) يحرّك العواطف ويوجّهها، بحيث يستطيع أن يهدئ نقمة أو يثيرها، ولذا يعنى بإبراز ما في نفسه من معانٍ وقوى على النحو الذي يمكّنه من تحويل هذه الأفكار الجامدة إلى مشاعر حيّة ينفعل بها السامع ويتجاوب مع الخطيب فيندفع بتأثيرها إلى تحقيق ما يُطلَب منه.

ج) وهذا التأثير لا يتوفّر إلا ببلوغ موضع القبول من أفهام السامعين، وموضع الاهتمام من عقولهم وقلوبهم ومخيلاتهم. وسبيل ذلك: رباطة الجأش وحضور الذهن، وقوّة الأسلوب وبلاغته، وجودة الإلقاء ونبرات الصوت، ودقة الإشارة وأمارات الوجه وما فيها من تعبير صامت يعزّز مدلول الكلام، مع مراعاة الحال التي يقتضيها مستوى السامع وإدراكه ومقامه[5].

ثم إنّ الخطيب الديني[6] إنْ لم يكن متأثِّرًا متحمِّسًا لما يدعو إليه فلا أثر لخطابته. قال الحسن البصري لواعظ لم تقع موعظته بموضعٍ من قلبه، ولم يرقّ عندما: «يا هذا

---

[1]- من الذين عارضوا خطب ابن نباتة: السيد حسين بن محمد بن الحسين المعروف بابن قاضي عسكر المتوفى (743هـ) صنّفَ (المقال المحبَّر في مقام المنبر). انظر: إيضاح المكنون، ص: 534/4.

[2]- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين): ص: 284.

[3]- انظر: معجم الأدباء: ص: 2205/5؛ كما انظر المرجع السابق: ص: 284-286.

[4]- حدّد رومان ياكبسون الخطاطة التواصليّة بـ: المرسِل، الرسالة، المرسَل إليه، السياق، الشفرة، وسيلة الاتصال (حسّية أو نفسّية)، وكل قول يحدث إنما يدور في هذه المدارات الستة مهما كان نوع ذلك القول/ انظر: الخطيئة والتفكير: ص: 9.

[5]- انظر: الخطابة بين النظرية والتطبيق: ص: 228-234، والتأثير في الجماهير عن طريق الخطابة: ص: 89، 97، 99، 107، 176، 177، 183، 184، 186.

[6]- عُرِف ابن نباتة، واشتُهر بخطبه الدينية الوعظية، وبخطبه الحربية، كما ذكرنا.

إنّ بقلبك لَشرًّا أو بقلبي»[1].

3- الوظيفة السياسية:

إحدى مهمّات الأدب، كما يرى الناقد محمد مندور، تطوير الحياة السياسيّة، وذلك لأنّ الأدب «يستخلص القيم المحرّكة التي تكمن خلف مظاهر التطوّر المادّي والاجتماعي للحياة، وهو بكشفه عن القيم الكامنة يحيلها إلى قوة إيجابيّة فعّالة تدفع نحو مزيد من التطوّر في نفس الاتجاه»[2].

ومعنى هذا أنّ الأدب انعكاس لواقع الحياة وتطوّرها، ولكنّه «ليس انعكاسًا سلبيًا، بل انعكاس إيجابي، فهو يرتدّ ثانية إلى تلك الحياة ليحثّ خطاها، ويدفعها نحو مزيد من التطوّر والتقدم، وبذلك يأخذ من الحياة، ثم يعطيها أكثر مما أخذ»[3]، فبعد أن يتفهم الأديب الحياة، ويتفهّم التجربة البشرية، يصبح قادرًا على خلق حياة جديدة، وفيما يخص الخطابة، فقط يدافع الخطيب عن رأيٍ ما، ويحضّ على الاقتناع بمبدأ من المبادئ.. وفي عصر ابن نباتة كانت الحروب على أشدّها بين سيف الدولة والروم، والخطباء من الجانبَيْن يشعلون نيران العواطف، فكان ابن نباتة من أشهر هؤلاء، يقول الأستاذ أحمد أمين في (ظهر الإسلام): «لئن قال المتنبي وأبو فراس وغيرهما في وصف هذه الحروب وصفًا أدبيًّا، فقد كان ابن نباتة يجعل وظيفته إثارة البواعث للقيام بهذه الحروب، ودفع إغارة الصليبيين»[4] وها هو يشرح، ويبيّن الطريقة، والحيلة العسكريّة التي يمكن يمكن أن يتبعها جيش سيف الدولة للظفر بالنصر: «... واعلوه بالمغار عليه قبل مغاره عليكم وعلوّه، وانتهزوا الفرصة فيه بتشاغله قبل خلوّه، وانهضوا إليه قبل نهوضه إليكم ودنوّه»[5].

4- الوظيفة الجمالية:

---

[1] البيان والتبيين ص: 84/1 (تحقيق عبد السلام هارون)، وراجع الخطب، ص: 259/25، وفيها يدعو ابن نباتة نفسه إلى التغلّب على عنادها، وغرورها، وطول أملها، قبل أن يدعو السامعين، من ذلك – مثلًا – قوله: «.. وأعوذ بجلال عظمته أن أذكّر به وأنساه، وأقرّ إليه من خُدَع نفسٍ عازبٍ رشادُها، غالبٍ فسادُها، قليلٍ إسعادها، طويلٍ عنادها، مشتملٍ عليها غرورُها، متّصل في غَيّها كُرورها، راسبةٍ في لجج آمالها، راغبةٍ عن نهج مآلها..»، وقوله: «فيا مغرورًا والخطاب للجماعة واقع، يدخل فيه الواعظ والسامع، ماذا تزوّدتَ من عمرك المُضمَحِل..».

ولم يكتفِ بالقول، بل كان – كما شهد بذلك الثّقات – صالحًا، ليّن القلب. انظر: وفيات الأعيان: ص: 156/3؛ مرآة الجنان: ص: 302/2؛ وسير أعلام النبلاء: ص: 332/12.

[2] عشرة أدباء يتحدّثون: ص: 263.

[3] المرجع السابق: ص: 263.

[4] 112/2.

[5] شرح خطب ابن نباتة: ص: 164؛ والهاء في (اعلوه) تعود على العدوّ.

يعمل الأدب – إضافة إلى وظيفته السياسية التي تجعل منه مرآة تعكس الواقع بشكل إيجابي، والثقة به لكونه يمدنا بأسرار النفس البشرية – يعمل على مدّ آفاق تفكيرنا، ويرهف إحساسنا[1]، ويمتعنا بخصائصه الجماليّة، و«بمكوّناته الإنشائيّة والشكليّة»[2].

ومن الوجهة الفنيّة يُعَدّ ابن نباتة من أعرف الناس بصياغة الكلام، وهو يراعي فنون البديع مراعاة تامّة، و«سجعه حسن مقبول، وربّما كان السجع أقرب فنون البديع إلى لغة الخطباء؛ فهو أسرع تأثيرًا في الجماهير التي لا تفطن إلّا إلى الظواهر البرّاقة من حلية البلاغة والبيان»[3] فجمهور الناس – عادة – يجد فيما تحتوي السجعات من الألحان والأنغام والأوزان مثيرًا لما لا يدركون من النزعات الإنسانية الكامنة التي يهيّجها النغم والإيقاع[4].

ولا تناقض – برأينا – مع الوظائف السابقة، إذْ تشكّل القيم النفسيّة والفكريّة في خطب ابن نباتة[5] «رصيدًا يساعدنا على فهم البنية الشكليّة اللغويّة»[6] لهذه الخطب.

ثانيًا: الهيكل والبناء الفكري:

قسم أرسطو الخطبة إلى أربعة أقسام: المقدمة، والعرض، والتدليل، والخاتمة[7]، وزاد بعضهم على هذه الأقسام التفنيد، وقصرها آخرون على ثلاثة: المقدمة والعرض (وتنطوي فيه الأدلة والتفنيد)[8]، والخاتمة، وسنتبع هذا التقسيم الأخير.

بناء الخطب الدينية، والخطب الحربية:

1- المقدّمات:

إنّ بداية الخطبة عنوانها ومفتاحها، ولقد حرص الخطباء منذ القدم أن تكون بداية كلامهم بداية قويّة مؤثِّرة لا عجز فيها، فإن نجحوا في ذلك فازوا باستقطاب آذان السامعين والاستحواذ على انتباههم، وإلّا صرفت الأسماع عنهم ونال ذلك من قدرهم وقدر ما يتكلمون به، ولذلك عرفت البلاغة العربيّة ما اصطلح على تسميته (ببراعة الاستهلال)، قال ابن الأثير في كتابه (المثل السائر): «وإنّما خصصتُ الابتداءات بالاختيار، لأنها أول ما يطرق السمع من الكلام؛ فإذا كان

---

[1]- انظر: في الميزان الجديد: محمد مندور، ص: 19، 73، 74، 81، 91، 121.

[2]- قضايا الشعرية: ص: 71-72.

[3]- النثر الفني في القرن الرابع: ص: 2/195- 196.

[4]- انظر: المرجع السابق: ص: 2/196.

[5]- وفي الأدب عمومًا.

[6]- انظر: نظرية البنائية: ص: 212.

[7]- الخطابة: ص: 193، 255؛ وانظر: تلخيص الخطابة: ص: 31، 305، 306.

[8]- انظر: فن الخطابة: ص: 142.

الابتداء لائقًا بالمعنى الوارد بعده، توفّرت الدواعي على استماعه»[1]، وقد يستهلّ الخطيب خطبته بالتحميد، أو بحكمة، أو مَثَل، أو بيت رائع يوحي بالموضوع ويُعِدّ له، وأكثر أنواع المقدمات شيوعًا عند ابن نباتة هي التحميد: حمد الله والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسوله، وكان هذا عرفًا شائعًا لازمًا منذ العصر الإسلامي، قال الجاحظ: «إنّ خطباء السّلف الطيّب، وأهل البيان من التابعين بإحسان، ما زالوا يسمّون الخطبة التي لم تُبْتَدَأ بالتحميد وتُستَفتح بالتمجيد البتراء»[2].

هذا، وقد استهلّ ابن نباتة خطبه الدينيّة والحربيّة بالحمد والتمجيد، والحمد فيها، ليس حمدًا عفويًّا يأتي به الخطيب كما يتّفق له، وإنّما هو حمد دقيق معقَّد يصوّر الله في الصورة الملائمة التي تناسب عمق الثقافة ونشاط المذاهب الكلاميّة في هذا العصر.

وكانت مقدّمات خطبه مناسبة لمضامين تلك الخطب كلَّ المناسبة، ففي مقدّمة الخطبة (القعسريّة) التي يتحدّث فيها عن ختم القرآن في شهر رمضان، يقول: «صدق الله الذي لا إله إلّا هو الرّحيم الرّؤوف، البَرّ الكريم العطوف، الحيُّ الخالق، الوَفِيُّ الصّادِق، ذو العِزّة والجلال، والقدرة والكمال، والكرم والإفضال، والعدل في الفِعال، والصّدق في المقال...»[3].

المقال...»[3].

اختار الخطيب – هنا – الثناء على الله عزّ وجل بصفات الكمال، ونعوت العظمة والجلال، ممّا يدلّ على كمال قدرته، وسعة علمه ورحمته، وعموم حكمته، ومن رحمته إنزال القرآن الكريم، ليكون مصدرًا للعلم والنور والهداية، وشاهدًا على صدق جميع الأنبياء والرسل: «.. وبلغت رسله رسالاته، وأظهرت معجز آياته، ونحن مصدّقون بكلماته، شاهدون بإبلاغ أنبيائه وتقاته، صلى الله عليهم أجمعين، وخصّ بذلك محمدًا سيد المرسلين»[4].

وفي مقدّمة خطبة يذكر فيها وفاة ست الناس أخت الأمير سيف الدولة، يقول: «الحمد لله الذي اختار البقاء لنفسه وارتضاه، وقدّر الفناء على خلقه فقضاه، وحكم فيهم بعدله فأمضاه، ويَسّرَ كُلًا لما خُلِق له وأرضاه: فساوى بالموت بين القويّ والضعيف، وجعل التراب مالًا

---

[1] – 224/2.

[2] – البيان والتبيين: ص: 2–6.

[1] – شرح خطب ابن نباتة: ص: 319، ومن الجدير ذكره أنّ شرح الشيخ طاهر الجزائري، اقتصر على شرح الألفاظ الغريبة، وبعض المصطلحات الفلسفيّة الواردة في الخطب، وعلى الرغم من ذلك، فهو أوثق الشروح وأفضلها.

[2] – المصدر السابق: ص: 320.

للدنيّ والشريف.. أحمده على حلو القضاء ومرّه، وأسأله التوفيق للقيام بشكره»[1].

فكان الحديث عن اختيار اللهِ البقاءَ لنفسه، والفناءَ لمخلوقاته، وحمدِه على حلو القضاء ومرّه، مناسبًا لموضوع الخطبة.

– وهو ينوِّع في التحميدات تنويعًا رائعًا، بعيدًا عن التكرار[2]، ففي كل تحميدة يأتي بصفات جديدة، للخالق عزَّ وجلَّ، فمثلًا، يقول في مقدّمة الخطبة التاسعة من الخطب المختصرة [في الوعظ والنصح]:

«الحمد لله المدعُوِّ إلهًا بكلّ اللّغات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العالي عن إحاطة النّعوت والصِّفات، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله أرسله بالبيِّنات»[3] والحمد «عبارة عن تعظيم الفاعل لأجل ما صدر عنه من الإنعام سواءٌ كان ذلك الإنعام واصلًا إليك أو إلى غيرك»[4].

– وفي مقدمة خطبة يَعِظُ فيها الناس وينذرهم، يقول: «الحمد لله مصوِّر الأجنَّة في ظلم أرحامها، ومقدِّر مدد آجالها ومعلوم أقسامها، ومخرجها إلى الوجود بعد إعدامها، وميسِّرها لمنافعها بلطيف إلهامها، وكالئها في يقظتها ومنامها، وبارئها تحقيقًا لإظهار إكرامها، ورافعها على ما خلق بمعارفها وأفهامها، ومانعها من أن تحيط به خواطر أوهامها، وجاعل نقصها معقودًا بكمال تمامها، فتبارك الله الذي بيده تدبير نقضها وإبرامها»[5] يشير الخطيب في هذا التحميد إلى نعمة الوجود والحياة والقدرة والعلم، وتحصيل الأرزاق المختلفة، وهذه النعم لا تحصل إلّا من الله سبحانه، من الطفولة إلى آخر العمر، فإذا تأمّل الإنسان في آثار حكمة الرحمن في خلق الإنسان، ووصل إلى أسرار ما أودع الله في أعضائه من أنواع المنافع والمصالح، علم أنها بحر لا ساحل له، فلهذا السبب كان المستحق للحمد المطلق والثناء المطلق ليس إلّا الله سبحانه.

– وفي مقدمة خطبة يذكر فيها تصرّف الزمان والمعاد، يبدأ بذكر ما يناسب ذلك من صفات الخالق عزّ وجلّ:

«الحمد لله الحكيم فعله، العظيم فضله، الكريم بذله، المقيم عدله، الذي لا تخطر كيفيّته

---

[3]- شرح خطب ابن نباتة: ص: 33.

[4]- البعد عن التكرار في التحميدات أمرٌ محمود في الخطب والرسائل الديوانية، وغيرها، فهذا ابن الأثير، يأخذ على أبي إسحاق الصابي، أنه يكرّر في معاني تحميداته، ويطيل فيها. انظر: المثل السائر: ص: 1/203-233.

[3]- شرح خطب ابن نباتة: ص: 181.

[4]- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ص: 12/472.

[5]- شرح خطب ابن نباتة: ص: 29.

ببال، ولا تجري ماهيّته في مقال، ولا يدخل في الأمثال والأشكال، ولا يؤول إلى تحويل، ولا انتقال، أحمده على ما أنطق وألهم، حمدًا يقوم بشكر ما رَزَق وأنعم»[1] فهذا التحميد مخصوص بتنزيه الله عز وجل عن الشبيه في الذات والصفات والأفعال، «فأفعاله لا تشبه أفعال الخَلْق، وكذلك صفاته لا تشبه صفات الخلق، وذاته لا تشبه ذوات الخلق»[2] فالتغير والانتقال من حال إلى حال إنما يخصّ البشر المخلوقين.

– وفي مقدمة خطبة يذكر فيها الموت، يقول: «الحمد لله الممتنع عن تمثيل الأفكار الخاطرة، المرتفع عن تحصيل الأبصار الناظرة، العالم بوجيب قلب الذرّة الخادرة، في غياهب ظلم الليلة الماطرة، تحت تلاطم أمواج البحور الزاخرة، كعلمه بحركات خلقه الظاهرة، الذي جعل الموت أول عدل الآخرة، فأقام به القوي والضعيف تحت قدرته القاهرة. أحمده على أياديه المتقاطرة، ونعمه المتظاهرة، حمدًا أدفع باتصاله حلول كل فاقرة»[3] وهذا تحميد مخصوص بنوع خاص من النعمة، وهي نعمة العدل الإلهي، والموت أحد مظاهر عدله تعالى، حيث يتساوى القويّ والضعيف، الغنيّ والفقير.. كما يتحدّث الخطيب في بداية التحميد عن علم الحقّ سبحانه، النّافذ في جميع الكليّات والجزئيّات، الواصل إلى جميع ذوات الكائنات والممكنات..

والذي يبدو في هذه المقدمات، غناها بالمعاني الإسلامية المستمدَّة من آيات القرآن الكريم، وهذه السمة من أهمّ ما يميّز الخطابة في العصور الإسلامية كلها، كما يظهر غناها بالمصطلحات الفلسفيّة، ولا ريب في أنّ الإكثار من هذه المصطلحات، يعود إلى ارتقاء أساليب النثر في ظلّ ازدهار الحياة العقليّة، الذي استتبع تكاثر المصطلحات المستحدثة، كالعنصر، والماهيّة والكيفيّة، والجوهر والعَرَض[4]... فغلب على جانب من الشعر والنثر فكر الفلاسفة وعلماء الكلام، واقتحمَتْه ألفاظهم، واصطلاحاتهم[5].

2– العرض:

---

[1]– المصدر السابق: ص: 24.

[2]– مفاتيح الغيب: ص: 476/12.

[3]– شرح خطب ابن نباتة: ص: 36.

[4]– فمثلًا: يقول في بعض تحميداته «الحمد لله الذي ليس متجزّئًا فتجتذبه مواد العناصر، ولا متكيّفًا فيُنسَب إلى الأعراض والجواهر، ولا مجسَّمًا فيُدرك بإيناس النواظر، ولا متوهَّمًا فيتخيَّل بإيحاء الخواطر، ولا محدَثًا فيؤول إلى النقص والتغاير، ولا محدودًا فتحيط به فكر أولي البصائر، بل هو الأزلي قبل سوابق القِدْم، والأبدي بعد لواحق العدم..». ص: 270؛ وانظر: التحميد في: ص: 116.

[5]– انظر: أعلام النثر الفني في العصر العباسي: ص: 248–249.

إن استغنى الخطيب أحيانًا عن المقدمة أو عن الخاتمة؛ فليس يستطيع أن يستغني عن عرض الموضوع، لأنه الخطبة نفسها أيًّا كان موضوعها. وقد اعتمد ابن نباتة – للتدليل على صحّة رأيه – على نوعَيْن من الأدلّة: الأدلّة الوجدانيّة، والأدلّة العقليّة.

الأدلّة الوجدانيّة الخطابيّة:

وهي المبنيّة على مقدّمات ظنّيّة، أو المستندة إلى العرف الشائع، أو إلى حكم مشهورة، وإلى أقوال الفلاسفة والمشرِّعين[1]. فللخطابة أدلّة وجدانيّة تثير الرغبة والإحساس، وهذه صالحة للتأثير في العامّة في مجال الوعظ والإرشاد، وإشعال ثورة أو إخمادها[2].

أنواعها:

1- الاستهواء والتأثير:

اعتمد ابن نباتة على صدق العاطفة والشعور، وشدّة التحمّس لما يدعو إليه، لينقل أحاسيسه ومشاعره إلى الجمهور، قال غوستاف لوبون: «إنّ الذي يكتفي بالإقناع دون التحمّس متكلّم لا بليغ.. وإنّما السّرّ في البلاغة الخطابيّة أن يكون الإنسان ملتهبًا بالعواطف»[3].

والجماعة – في الحقيقة – تنقاد بالاستهواء والتأثير، أكثر مِمّا تُقاد بالمحاجّة والإقناع، وهي قابلة للانقياد إلى الخير وإلى الشّرّ[4]، فنجد خطيبنا يستفزّها إلى التضحية لنصرة الحقّ والدّين والمذهب، وإلى التّفاني في الدفاع عن الوطن. يقول: «أيّها الناس.. استشعروا السَّكينة إذا كشفت الحرب نقابَها، وأطار الأقدامَ عُقَابُها[5]، وأحرَّ اللِّطامَ ضِرَابُها، وأمرَّ الحِمامَ شرابُها، وتذكّرت العرب العرباء أنسابَها[6]، ومثّلتِ العلماءَ مرجعُها ومآبها... وقيل هذه[7] عروس دار الآمال فكونوا الآنَ خطّابَها»[8] فهو يعتمد على

---

[1]- انظر فن الخطابة: ص: 153.

[2]- انظر: المرجع السابق: ص: 24.

[1]- انظر: سيكولوجية الجماهير: ص: 35، 63، 77.

[2]- انظر: فنّ الخطابة: ص: 58.

[3]- العقاب طائر معروف، وإطارة عقاب الحرب كناية عن اشتدادها.

[4]- يعني ما تفعله العرب، الانتساب عند المبارزة.

[5]- يقصد (الجنّة).

[6]- شرح خطب ابن نباتة: ص: 152، 153.

الإقناع القلبي، ليوقظ العزائم ويسيطر على المشاعر.

ونجده، في خطبة أخرى، يستثير النّخوة والحميّة في قلوب الرجال:

«.. لا ترقبون إلّا يد غاشم تخطفكم، أو ريح عدوّ هاجم تنسفكم، كالنَّعَم بغير راعٍ، راحَتْ رائحة السِّباع، فهي شريدة طريدة بكلّ قاع. والعدوّ يتملّك بلادكم قاطنًا، ويحتنك سوادكم آمنًا، يفكّ عرى أمصاركم عروة عروة، ويدكّ ذرى دياركم ذروة ذروة. وأنتم من روح الله آيسون، ولكتب الآفات دارِسون.. حتى لقد طبتم عن الحريم المستباح نفوسًا، وطأطأتم للذلّ الصّراح رؤوسًا، وصرتم فرصة المفترس، ونهزة المختلس.. فلا رحمة الأطفال ترقّق عليها أكبادكم، ولا ألفة الأوطان تحقق عنها جهادكم»[1].

ويتجلّى عنصر العاطفة واضحًا في هذه الخطبة، فهو يحذّرهم من الذّلّ والاحتقار عند ترك القتال، ثم يستنهض الهمم العالية للرّجال، ويثير المشاعر عن طريق فكرة (العِرْض)، ولننظر إلى تدرّجه في إثارة العاطفة لدى الجماهير المحتشدة، فقد شبّههم بالنعم التي فقدت راعيها، وأحاطت بها السّباع، فشعرت بخطرٍ محدق فهي تتخبّط بكلّ وادٍ.. ثم ذكر سيطرة العدوّ على بلادهم، وحرصه على تفريقهم، وتشتيت شملهم. وأخيرًا ذكر النساء والأطفال، فمع هذا التدرّج يتصاعد لهيب الحماسة والغيرة، وتثار الحميّة في النفوس، وتشحنها حقدًا وحنقًا على العدو (الروم). وكذلك أثار مشاعر الجمهور عن طريق إثارة الشعور الديني، بقوله: «وأنتم من روح الله آيسون، ولكتب الآفات دارسون».

2– الاستدراج:

في الاستدراج يُعَوَّل على ذكاء الخطيب، وفهمه، ومعرفته، وثقافته، وهو باب خطابي واسع، تصدّى له البلغاء، وعرض لقضاياه الأدباء[2].

والاستدراج يستعمله الخطيب في المقامات التي يتصدّى فيها لأمر، أو لموضوع لم يألفه المخاطبون، أو يكون عارضًا لفكرة تناقض آراء المستمعين، أو تُضاد ما اتفقوا عليه. يبدأ

كما اعتمد ابن نباتة (الاستهواء والتأثير) في مواضع كثيرة من خطبه، يقول أيضًا: «ولو لم يكن عباد الله في الجهاد ثوابٌ في المآل، ومرضاة لذي الجلال، إلا الغيرة على الحرم والأطفال، والحميّة على النعم والأموال... لكان في ذلك ما يشغل عن غيره من الأعمال، ويزجر عن التلوّم والاعتلال»، ص: 165؛ وانظر: ص: 92، 104، 135، 138، 142.

[1]– شرح خطب ابن نباتة: ص: 160، يحتنك: يستأصل، المختلس: آخذ الشيء على غفلة.

[2]– عرّفه ابن الأثير بقوله: «وهو مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال» والغرض منه استدراج المخاطَب إلى الإذعان والتسليم/ المثل السائر: ص: 64/2 (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد).

بإلقاء الرّيب والشّك فيما يعتقدون، ثمّ يتدرّج بطرح بعض الآراء التي يقبلها المستمعون، حتى إذا أَنِس منهم استجابة، قادهم إلى ما يريد، وألقى إليهم بالنتائج التي يبغي، واستدرجهم إلى البراهين التي يهدف[1].

ويُلحَظ أنّ ابن نباتة، في خطبه، لا يفاجئ المخاطبين بكلّ مراده، بل يصرّح لهم بالقليل، حتى يأنس منهم تقبُّلًا، وميلًا، ثمّ يخاطبهم بكلّ ما يريد، كما في خطبته التي ذكر فيها أخذ الدمستق، إذ بدأ بالحديث عن قوّته، وتمكّنه في الأرض، ثمّ بيّن كيف أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، متدرِّجًا بعقول السامعين، ومستثيرًا لمشاعرهم: «وانظروا إلى صنيع الله بعدوّكم طاغية الروم، الذي ضلَّت في انتظام أحواله ثواقب الأحلام والفهوم، حين دوّخ الأقطار، وفتح الأمصار، وأخرب الديار، وجاوز في بغيه وعتوّه المقدار، حتى إذا خامت عنه جيوش الإقدام، وطاشت لِفَرَقِه عقولُ الأنام، وتقاعسَتْ عن الفتك به صروف الليالي والأيام، ووقع اليأسُ من دفعه، لطف الله الكريم لكم بلطيف صنعه، وأتاه من مأمنه، وقتله بأنصاره في وطنه..»[2].

– أو قد يشكّكهم بأفعالهم واعتقاداتهم، حتى إذا انهارت، طرح أفكاره شيئًا فشيئًا، كما في قوله: «أيّها الناس: إلى كم تماطلون بالعمل، وتطمعون في بلوغ الأمل، وتغترون بفسحة المهل، ولا تذكرون هجوم الأجل، وأنتم قرارة سيل المنايا، وإشارة نبل الرزايا.. ما ولدتم فللتراب، وما بنيتم فللخراب، وما جمعتم فللذهاب، وما عملتم ففي كتاب مدَّخر ليوم الحساب، فرحم الله امرًا قدّم الحذر، وأنعم النظر..»[3].

3- التمثيل:

أن يقيس الخطيب الأمر الذي يريد على أمر مسلَّم به عند المخاطبين، فيلحقه به، لجامع بين الأمرين. والتمثيل يساعد على تقريب الموضوعات للأذهان، وعلى الإقناع للأخذ بها، بأسلوب جذّاب، وذلك لعلاقة المماثلة بين الموضوع المراد، والموضوع الشّبيه والمماثل له، المتعارَف عند المستمعين[4].

---

[3]- انظر: الخطابة: العاملي، ص: 91-93.

[1]- شرح خطب ابن نباتة: ص: 173، 174؛ خامَتْ: جبنت، طاشَتْ: خفَّتْ، الفرَق: الخوف.

[2]- المصدر السابق: ص: 21؛ وانظر: ص: 72-183.

[3]- انظر: الخطابة: العاملي، ص: 95.

ضرب ابن نباتة مثلًا بأهل القرى[1] الذين ذُكِروا في القرآن الكريم، أعرضوا عن ذكر الله، وعاثوا في الأرض فسادًا وظلمًا، فأهلكهم الله، وكذلك كل من يصنع صنيعهم، يقول:

«أيها الناس.. انظروا بعيون الهمم، في مصارع الأمم، الذين فوَّقهم الزمان درَّه، وجَنَّبهم الحدثانُ كَرَّه، فعمروا الدنيا عمارة آمنٍ من غدرها ونفذ أمرهم في برّها وبحرها، حتى إذا اقتعدوا منها مقاعد الشّرف، وتمهدوا فيها مماهد اللّطف، وصدّقوا كواذب أمانيها، ولم يرمقوا المعاطب في طيّها ونواحيها، قلبت لهم عين فراتها أجاجا، وأَمَرَّتْهم على آفاتها أفواجا.. فيا أيّها الحُلّال منازلَ الراحلين، والوُرّاد مناهل الأوّلين: لقد هتف بكم هادم اللذّات فَأَسْمَعَ...»[2].

ويقول في خطبة أخرى: «... وأجيلوا الأفكارَ في انقراض الأمم، الذين كانوا من قبلكم في الأرض قاطنين، وعلى مهاد الخفض مستوطنين، حتى إذا استحكمت فيهم طماعيةُ التخليد، واستولت عليهم رفاهية التمهيد.. رغا في وسط ديارهم سقبُ العطب، وأوقعت بهم المنون إيقاع الغضب، وأدّت إليكم الأيام من أخبارهم أنواعَ العجب»[3].

عمد خطيبنا – في هذه الشواهد – إلى ضرب الأمثال، ليقرّب للناس ما يريد من الأمور، ويشبّه حال المخاطَبين بحال الأمم السالفة لجامع يجمعهم... وتجدر الإشارة إلى أنّ خطباء المواعظ كانوا يُكثرون من الاستشهاد بالقصص، وما رُوِي على ألسنة الأنبياء والرُّهبان والزُّهّاد، لما لهذه القصص من أثر بليغ في الدخول إلى قلوب الناس، وتهييج المشاعر الإيمانيّة عندهم. وذلك لأنّ الخطيب يستفيد من التخييل في جعل المستمع يتجاوز بخياله حدودَ واقعه وزمانه، وينتقل مع الأحداث القصصية والشخصيات التي فيها، إلى عصرها، فتظهر له الأحداثُ والشخصياتُ في صورة محسوسة، تفوق في تأثيرها الكلمات المنطوقة، والمعاني المسرودة.

– وقد يتجه ابن نباتة إلى التشبيه البياني المعروف، للاستدلال وتقريب المعاني، فضلًا عن تحسين الكلام:

– «واعلموا أنّ الدنيا مفازةٌ فيها الطريق إلى الآخرة، وقنطرة عليها الجواز إلى السّاهرة»[4].

---

[4]– ذكر هذا المعنى – في خطبه – مرارًا وتكرارًا، انظر أيضًا: شرح خطب ابن نباتة: ص: 18، 34، 53.

[5]– المصدر السابق: ص: 43، الدر: اللبن، وفوّقه اللبن سقاه إياه.

[1]– المصدر السابق: ص: 50؛ الطماعية: الطمع، السقب: ولد الناقة؛ وانظر: ص: 59، 82.

[2]– المصدر السابق: ص: 47؛ السّاهرة: وجه الأرض.

- «أمَا ترون صوارمَ الموتِ بينكم لامعة، وقوارعَه بكم واقعة، وطلائعه عَليكم طالعة، وفجائعه لعذركم قاطعة..»[1].

- «أيها الناس: إنّ الدنيا محال، يقتضيه زوال، يقتفيه مآل، يحتذيه وبال، أوقاتها سهامٌ أنتم أغراضها، وعِداتها بروق مخلف إيماضها.. فما بقاء مَنْ تقرضه الأيام قرضًا قرضًا، وترضّه الأسقام رضًّا رضا، وتركض به الساعات ركضًا ركضا..»[2]، ولا يخفى أثر التكرار، والاحتجاج المنطقي وبلاغة التشبيه والاستعارة، في إحداث الأثر المطلوب في نفوس السامعين.

4- التقابل والتطابق:

الأشياء تتميّز بأضدادها، وتُعْرَف بأمثالها. والمقابلة تعطي الكلام رونقًا، وجمالًا، فضلًا عن أثرها العظيم في إثارة الشعور، لأنّ التماثل أو التضاد يُشعِر بالفارق، ويوضح المعنى، ويفسح المجال للخيال[3].

وقد اتّخذ خطيبنا ابن نباتة من المقابلة حججه بطريقتين:

(الأولى) أن يذكر الشيء ومقابله، ويذكر صفاتهما، فَيُتَبَيّن الحَسَنُ منهما:

«أيها الناس: ما أفظع الفقر بعد الثراء، وأشنع العسر بعد الرخاء، وأبشع البؤس بعد النعماء، وأوجع المنع بعد العطاء، أَمَا ترونَ نتائج الغدر بعد الوفاء، وعواقب اتباع مضلات الأهواء، كيف أدَّتْكم إلى ظهور الأعداء، وحجبَتْ عنكم قطر السماء، ولوّحَتْ لكم بأمارات القَحط والغلاء... فيا معشر أهل التجمّل من الفقراء، وذوي المسكنة من الضعفاء، اتقوا الله ربكم حقّ الاتقاء.. كشف الله عنا وعنكم ظلل اللأواء، وقلبنا وإياكم من الضّراء إلى السّراء»[4] فقد بيّنَ محاسن الوفاء للخالق عزّ وجلّ، بعد أن بيّن مساوئ الغدر، والعصيان، وعدّدها: (القحط، الغلاء، احتباس المطر، انتصار الأعداء، الفقر بعد الثراء، العسر بعد الرخاء...الخ).

---

[3]- المصدر السابق: ص: 16.

[4]- المصدر السابق: ص: 27؛ البروق المخلفة هي الخلّب التي لا تمطر، وتمتلئ خطب ابن نباتة بصور فنية رائعة، سنحلّلها في مقال آخر.

[1]- انظر: الخطابة: العاملي، ص: 37؛ وفن الخطابة: 202.

[2]- شرح خطب ابن نباتة: ص: 185؛ ويقول مصوّرًا حال الموتى، مستخدمًا (المقابلة): «فهم في حال الوجود معدومون، وعلى ظهر سَفَرٍ مقيمون، إن خوطبوا لم يملكوا خطابا، أو سئلوا أعيوا جوابا..»، ص: 114؛ وانظر: ص: 72، 79، 84.

(الثانية) أن يبرهن على بطلان المقابل، فيثبت المطلوب، كقول ابن نباتة في سياق حديثه عن صفات الخالق عزّ وجلّ: «.. اللهمّ فَلَكَ الحمدُ على ما خصَصْتَنا به من معرفة وحدانيّتك، وباعَدْتَنا عن قول مَنْ جحد بك وكفر بعظمتك، وجعل لك أولادًا مَيِّتين، وشركاءَ مربوبين، يأكلون الطعامَ ويخافون الأسقامَ، ويلحقهم النّفع والضّرّ، ويصيبهم الخيرُ والشّرّ، صامتين لا ينطقون، وفقراءُ لا يُرْزَقون ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لاَّصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾»[1] إذا بطل وجود آلهة شركاء، فيثبت وجود إله واحد، لأنّه لا يوجد مصنوع بلا صانع، ولا كون بلا موجد، وكذلك إذا بطل وجود أولاد للخالق..، ومن الجدير ذكره أنّ الخطيب لا يعمد في إثبات دعواه إلى إبطال نقيضها، إلاّ إذا كان إبطال النّقيض أسهل عليه من إثبات دعواه[2].

الأدلّة العقلية: المنطقيّة، وهي المبنيّة على مقدّمات ثابتة يقينيّة، كالقياس مثلًا، كأن يقول كل إنسانٍ فانٍ، وزيد إنسان، فلا بدَّ أنَّ زيدًا فانٍ، وهذا الدليل المنطقي ينشأ عنه اقتناع ويقين عقلي[3].

وقد قرّر أرسطو أنّ الأدلّة العلميّة اليقينيّة لا تجدي – وحدها – في إقناع الجماهير، لأنه ليس من السّهل أن نقنع غمرة من الناس، متوسّلين بالعلم، حتى لو اعتمدنا على أدقّ العلوم[4]، لأنّ الجماعة سطحيّة التفكير، واهية الرّبط، ولذلك كانت الأدلّة التي تأسرها على هذا الغرار، وبالتالي فإنّ مهمّة الخطيب أن يقنع الجماعة إقناعًا شعوريًا، ليوقظ عزائمهم، ويحفزهم إلى العمل[5].

ولكن ليس معنى هذا أن نلغي التدليل المنطقي من الخطابة، وإلّا كانت لونًا من الدَّجل. وقد اصطلح علماء الاجتماع على أنّ الجماعة خاضعة للأفكار والمنطق أيضًا، إلى جانب العواطف[6].

وقد اعتمد ابن نباتة على الأدلّة والأقيسة المنطقيّة في خطبه.

---

[3]- المصدر السابق: ص: 389.

[4]- انظر: الخطابة: العاملي، ص: 38.

[1]- انظر: فن الخطابة: ص: 153؛ وقد أبدع ابن نباتة في استخدام (القياس)، في قوله مخاطبًا الإنسان: «فيا مَنْ أَخْرجَ أبواه من الجنّة بذنب واحد بعد أن كان لها مالكًا؛ كيف تطمع في دخولها بذنوب كالجبال لستَ لها تاركًا؟»، وفي قوله: «معذرةً من الله إليكم أيها السّامعون، وأُخْذًا بالحجّة عليكم أيها الطامعون، فكما أنكم خير أمةٍ أُخْرجت للناس، فكذلك أوزاركم أعظم الأوزار في القياس»/ شرح خطب ابن نباتة. ص: 30/ 248 على الترتيب.

[2]- انظر: تلخيص الخطابة: ص: 19، 20، 56.

[3]- انظر: فن الخطابة: ص: 154.

[4]- انظر: سيكولوجية الجماهير: ص: 84-87.

أنواع الأدلة العقلية التي استخدمها ابن نباتة:

1- التعريف:

تعريف الشيء يكون مقدّمة لدليل خطابي، فيقوم الخطيب بتعريف الشيء بخواصّه، أو ببيان أنواعه، وذكر أقسامه[1]، كقول ابن نباتة، معرِّفًا بـ(المتصوِّفة): «الذين قنعوا النفوسَ بسياط الإشفاق، وقطعوا الأطماع بسيوف الإملاق، وقمعوا الأهواء بذكر يوم التلاق، وكرعوا من المصافاة كؤوسًا حلوة المذاق، ونزّهَتْهم الهمم العلويّة عن دنيّات الأخلاق، أولئك الذين وخدت بهم مطايا الهمم، معرقلة تحت جلابيب الظلم، على أقصد سمت وأرشد لَقَم، حتى أناخت بهم في رياض الحِكَم، فهم تحت أشجارها يتقيّلون، وبنسيم أنوارها يتعلّلون»[2].

وقوله معرِّفًا بالقرآن، من خلال التعريف بخواصّه: «.. فإنّه يردّ الجائرَ إلى قصده، ويهدي الحائر لرشده، يشفي سَقَم القلوب، ويُنَقّي دَرَنَ الذّنوب، خاطب الله عزّ جلاله به أولياءَه ففَهِموا وبيّن لهم فيه مُرادَه فعَلِموا، فقرّاء القرآن حَمَلَةُ سِرِّ الله المكنون، وحَفَظَةُ علمِه المخزون»[3].

2- التجزئة:

التجزئة منهج خطابي يعمد إليه الخطيب في مقام الإطناب، ولا يتّجه إليه في مقام الإيجاز، وهي: «أَنْ تتّجه بالحكم إلى الجزئيات، تحكم عليها جزءًا جزءًا، حتى تستخلص النتيجة التي تريدها، ولها طريقان: الأول: تتبعُّ الجزئيّات، لاستنباط حكمٍ واحد لها، والثاني: تتبعُّ الجزئيّات ليخصّ واحدًا من بينها بحكم؛ لينبّه على خصائصه، وعلى الأخذ به، أو على التّنفير منه»[4]، كما في قول ابن نباتة: «أيها الفتى، كُن عبد اللهِ لا تعبد الدينار، وأيّها الشيخ، لا تحرق شيبَك بالنّار، وأيّها القاضي، إيّاك والقضاء بما يُغضِب الجبّار، فتفضح نفسك في يومٍ تشخص فيه الأبصار»[5] فقد تتبّع خطيبنا الجزئيات، خاطب (الفتى، والشيخ، والقاضي) لاستنباط حكمٍ واحد، هو تحذيرهم من الوقوع في غضب الجبّار، لينالوا الرضا

---

[1]- انظر: الخطابة: العاملي، ص: 32، 33.

[2]- شرح خطب ابن نباتة: ص: 77، 78، الخطبة (الصوفيّة)، قنع السقاء قنعًا خنث رأسه وكسره إلى خارج، الإملاق: الفقر، السمت: الطريق، واللَّقم: الطريق الواضح، كما عرّف الزهّادَ، انظر: ص: 246 من الخطب.

[3]- المصدر السابق: ص: 390، الخطبة (الفاتِحة).

[4]- الخطابة: العاملي، ص: 34-35.

[5]- شرح خطب ابن نباتة: ص: 78؛ وانظر: ص: 116، 163، 180، 245.

والأمن في يومٍ تشخص فيه الأبصار. كما يقول، في وصف الدنيا:

«احذروا الدنيا فإنها دار ظعن لا شكّ فيها، وقرار حزن لمصطفيها، ومدار محن جامعة على مقتفيها، ومحار فتن واقعة بمعتفيها، ومتجر أرباح لعارفيها، ومصدر فلاح لعائفيها، مَنْ ذا وثق بها فلم تخنه، أم من ذا اعتزّ بها فلم تهنه، بقاؤها معدوم، وفناؤها محتوم، وسائلها محروم، ونائلها مسموم»[1] فقد تتبّع الجزئيّات لينبّه على خصائص (الدنيا)، فهي دار فناء، لا دار بقاء، لم تورِث المغترّ بها، والمقبل عليها، غير الحزن والخسران، فعلى الإنسان العاقل أن يتزوّد من دنياه لآخرته، ويستكثر من العمل الصالح، فعند ذلك تكون هذه الدنيا مصدر فلاحٍ وسعادة لمن فهمها حقَّ الفهم، ووعاها حقَّ الوعي.

3- التعميم ثم التخصيص:

يبدأ بذكر العام، ويحكم عليه بما يريد ثم ينزل منه إلى الخاصّ[2]، كما في قوله داعيًا الناس إلى التفكّر في كَرّ الليل والنهار: «أيّها الناس: سافِروا في كرّ الجديدَيْن بأفكاركم، وتأمّلوا اختلافهما بقلوبكم وأبصاركم» ثم ينتقل إلى التفصيل، وغايته من ذلك التأثير في الناس، واتخاذ هذه الآيات عِبْرة لهم:

«هل ترون إلّا معدومًا يوجد، أو موجودًا يُفقد، أو آهلًا يخرب، أو حاصِلًا يذهب، أو آمنًا يعطب، أو غافلًا يلعب»[3].

4- العلّة والمعلول:

أن يستخدم الخطيب المعلول في الاستدلال على المطلوب[4]

فقد استخدم خطيبنا فكرةَ أنّ الله عز وجل له الخلق والأمر، وفي يده النّفع والضّر، كمقدّمة، نتجَتْ عنها نتيجة منطقيّة، هي أنّه ليس أحدٌ أحقُّ أن يُعْمَلَ بأحكامه، ويُنصَتَ إلى كلامه، من الله تعالى: «عبادَ الله: إنّه ليس أحدٌ أحقُّ أَنْ يُعْمَلَ بأحكامه، ويُنصَتَ إلى كلامه، ممّن له الخلق والأمر، وفي يده النَّفعُ والضُّرُّ، وفي عِلْمه الخيرُ والشّرُّ، ذلكم

[1] شرح خطب ابن نباتة: ص: 39؛ المعتفي: المتبع؛ وانظر: ص: 237.

[2] انظر: الخطابة: العاملي، ص: 35.

[3] شرح خطب ابن نباتة: ص: 25؛ وانظر: ص: 78–113–119.

[4] انظر: الخطابة: العاملي، ص: 37.

كتابًا جعل أمثاله عِبرًا لمن تدبَّرَها، وأوامر هدىً لمن استبصَرَها..»[1].

كما استخدم (العلّة والمعلول) في تحذير الناس من الغفلة عمّا ينتظرهم من الثواب والعقاب: «وأحذّركم الغفلة عن الأمر المُظِلّ، والإدبار عن الخطب الأجلّ، فإنّكم مطلوبون، والمطلوب، أولى بالوَجَل، وإنّكم مسؤولون، والمسؤول أحقّ بتصحيح العمل»[2]. وقد أدّت هذه المحاجّة المنطقيّة دورَها – على أكمل وجه – في إقناع الجمهور والتأثير فيه، والوعظ عادة يجمع بين العقل والعاطفة.

وفي بعض الأحيان، يذكر خطيبنا النتيجة: «وقد أظلَّنا من العدوّ سحاب ممتدّة الإطناب، ودبَّتْ في ديارنا منه عقارب الخراب، وعمّ الغلاء والبلاء بقبيح الاكتساب»[3].

ثمّ يذكر السّبب: «وما ذاك إلاّ لصول العبيد فيكم على الأرباب، وعدلكم الهجان بالصريح اللباب، وانقياد الرؤوس فيكم للأذناب، وارتكاب كلٍّ هواه إلى ضد الصّواب»[4].

وبهذه المحاكمة العقلية، يحاول ابن نباتة أن يبلغ الغاية في الإقناع والتأثير، إقناع الجمهور بضرورة التنبّه للخطر المحدق من عدوّهم، واتخاذ الأسباب الملائمة لدفعه ودحره، والانتصار عليه.

5- التّفنيد:

هو مناقشة آراء الخصم وأدلّته لإبطالها، سواء أكان التفنيد للآراء العامّة التي دعا الخصم إليها، أم للنتائج التي استنبطها[5].

وكثيرًا ما يضطر الخطيب إلى تفنيد ما قاله خصمه، ليمحو من النفوس أثره، وقد يسبق خصمه إلى تفنيد آرائه التي توقعها ليسدّ عليه المسالك[6].

ويتطلّب التفنيد حضور بديهة، وعلمًا، ومعرفة بأساليب القول، وخبرة، وذكاء، وإحاطة بمعارف تساعده على سرعة الردّ، وإجادته.

وقد استخدم ابن نباتة (التفنيد) في سياق حديثه عن الأدلّة القطعية الإلزاميّة على وحدانيّة الله تعالى، فبدأ بقوله: «.. لا شريكَ له يدانيه، ولا مَثَل يضاهيه، ولا نظيرَ يقابله، ولا عديلَ

---

[1]- شرح خطب ابن نباتة: ص: 389 (الخُطبة الفاتحة)، وقد استخدم ابن نباتة هذه الحجة المنطقية في معظم تحميداته، في مقدمات خطبه الطويلة.

[2]- المصدر السابق: ص: 184؛ وانظر: ص: 257.

[3]- الخطبة الأولى من الخطب الحربية: ص: 132.

[4]- الخطبة نفسها، الهجين: ص: ابن الأمة إذا كان أبوه عربيًا، والصريح واللباب: الخالِص.

[5]- انظر: فن الخطابة: ص: 156.

[6]- انظر: الخطابة: العاملي، ص: 97-99.

يشاكله.. وعَلِمَ ما في ولائج الأرحام، وما تُجِنّه حنادس الظّلام، وأحاط عِلْمًا بزنة الجبال، وأحصى عددَ جميع الرّمال، وصرَّف الرّياح بُشْرًا بين يدي رحمته، وجعل عواصِفَها سببًا لوقوع نقمته، تعالى ربُّنا عن أقوال الجاحدين، وتقدَّس مجدُه عن ضلال الملحدين»[1].

اتخذ ابن نباتة من انعدام النظير والمثيل للخالق، وعلمه بدقائق الأمور، وتصريفه الرياح، فتكون رحمة للناس مرة، ومرة عذابًا، أدلّة على وحدانيّته تعالى، مفنِّدًا بها مزاعم الجاحدين.

ويقول أيضًا: «أفيظنّ ظانّ أنّ الله خلق الخلقَ ليهمله، أم أبدأ العالم ليغفله، كلاّ ليبعثنَّ مَنْ أماته ليسأله»[2].

– كما استخدم (التفنيد) في سياق ردّه على مزاعم الغافِلين، المتقاعِسين، الذين لا يأبهون بنعيم الجنّة، أو بعذاب النار: «فإنّه إنْ لا يَكُن إلى ذلك النعيم المقيم اشتياق، فليكن من ذلك العذاب الأليم إشفاق»[3].

وفي نهاية العرض نجد أنّ خطيبنا استخدم الأفكار والحجج، والأدلّة المنطقية – إلى جانب الأدلة الخطابية التي تعتمد على إثارة العاطفة والوجدان في نفوس الجماهير–.

3– الخاتمة:

أهميّتها: هي آخر ما يبقى في آذان السّامعين وأذهانهم من الخطبة، وبعدها يجني الخطيب الثّمرة المرتجاة، فتصدر المحكمة حكمها بالبراءة أو الإدانة، ويخشع السامعون لخطبة الوعظ ويتّقون، أو لا يتأثّرون، ويشارك السّامعون الخطيب في شعوره نحو المحتفل به أو لا يشاركون. وفي الخاتمة يتجلّى نجاح الخطيب في لعبه بعواطف الجمهور واستمالته[4].

وقد اتّسمت الخواتم عند خطيبنا ابن نباتة بقوّة العبارة ليهزّ المشاعر، وبقصرها «لأنّ قصرها يكسبها روعة، وخير للخطيب أن ينتهي والجمع في حماسة وميل إلى الاستزادة من أن ينتهي والناس في ملل وسآمة»[5].

وقد حقّق ابن نباتة الهدف من الخطبة في معظم الخواتِم التي ختم بها خطبه:

فقد أحسن ختام خطبة (في الموت والمعاد)، فبعد عرض أهوال الموت وأهوال

---

[1]– شرح خطب ابن نباتة: ص: 386، الخطبة الفاتِحة.

[2]– شرح خطب ابن نباتة: ص: 37.

[3]– المصدر السابق: ص: 247؛ كما استخدم التفنيد في مواضع أخرى من خطبه، انظر: ص: 91، 114، 180، 183، 235، 249.

[4]– انظر: فن الخطابة: ص: 166.

[5]– المرجع السابق: ص: 166.

السّاعة، ختم بدعاءٍ لنفسه وللسامعين، مناسبٍ لِمَا ذكرَه في العرض، وبآية قرآنيّة مؤيِّدة تثبّت المعنى في ذهن السامع: «زَحْزَحَنا الله وإيّاكم عن دار البوار وأحلَّنا وإيّاكم دارَ القرار، وحمانا وإيّاكم من حطام هذه الدّار، إنَّ أنفس المغانم والفوائد، وأوضح الدّلائل والمراشد، كلام العزيز الواحد ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ﴾»[1].

– وقد يختم بالاستغفار لنفسه، وللسامعين: «ختم الله بالمغفرة والسعادة أعمارنا، وعمر بتقواه إعلاننا وإسرارنا»[2].

– وقد يلخّص ابن نباتة في خاتمته الأفكار والعناصر البارزة من خطبته، أو يستثير السّامعين ويهيّجهم، ويلهب مشاعرهم، فيلجأ إلى التحذير والترهيب تارة، أو إلى الوعد والترغيب تارة أخرى، فيتسلّل إلى قلوب جماهيره بآمال يبثّها، أو بمخاوف يَهول بها، فهو يختم خطبته (في ذكر النار) بالترهيب: «.. والسّجن جهنّم، فأين القرار إذا لفح هجيرها، واضطرم سعيرها،.. وصعدت ذوائبها، وعقدت عقاربها، وتفرقع شرارها، وارتفع غبارها، وهمت بالصعود، وقالت هل من مزيد»[3].

ثم يعود إلى الترغيب: «فلاقوا عبادَ الله ذلك اليوم بوجه مغسول، وقلب مفتول، فالطريق سهل، والحاكم عدل ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًا يَرَهُ﴾»[4].

– كما نجده – في خواتم خطبه – يعبّر بأساليب مغايرة لتعبيراته الأولى، لأنّه إنْ كرّر المعاني بالأساليب نفسها أضجر السامعين، فهو يُنهي بعضَ خطبه الحربيّة بخاتمة وجدانيّة يبثّ فيها الحماسة في قلوب مستمعيه:

«أين أهل العزائم والنيّات، أين أبناء الصبر والثّبات.. أين المشفقون من سوء البَيات، أين المحامون عن الحرم المصونات، أين الناظرون بعيون البصائر إلى مصادر الغايات، أين المشتاقون إلى الحور الحسان المخلَّدات، أين الطالبون شرف المحيا

---

[1]- شرح خطب ابن نباتة: ص: 14، 15، وختم الخطبة التي ذكر فيها وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بآية مناسبة ﴿**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ**﴾، انظر: ص: 105.

[2]- المصدر السابق: ص: 180.

[3]- المصدر نفسه: ص: 298، عقدت عقاربها: رفعت أذنابَها وقوّسَتْها.

[4]- الخطبة نفسها. مفتول: قوي.

والممات، أين الناشئون تحت خفق البنود والرايات...»[1].

فخطيبنا استعمل الكلمات المؤثِّرة التي تحوّل المستمعين إلى بركانٍ ينفجر كرامةً وقوّة. وهكذا، فقد أحدثت الخواتم في خطب ابن نباتة، الأثر المطلوب منها، فـ«ختام الحديث في الحقيقة هو أكثر العناصر أهميّة، وما يقال أخيرًا يغلب أن يبقى في الذاكرة طويلًا »[2].

بناء خطب الزواج:

خطبة النكاح أو خطبة الزواج هي نوع من الخُطَب يُلْقَى من قِبل أهل الخاطب على أهل المخطوب إليهم، يلتمسون فيهم المصاهرة والنّسب، فيحدّدون المهور، ويذكرون من فضائلهم وميزاتهم ما يناسب ويكافئ فضائل المطلوب مصاهرتهم[3].

وتشبه خطب الزواج – عند خطيبنا ابن نباتة – بقية الأنواع في أنها تبتدئ بالحمد والتمجيد، غير أنّها تختلف بأنّ مقدمتها أقصر من مقدّمات الأنواع السابقة – بصورة ملفتة للنظر – ولعلّ هذا يتناسب وقول الجاحظ «فرِّق بين صدر خطبة النّكاح وبين صدر خطبة العيد، وخطبة الصلح وخطبة التواهب، حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدلّ على عجزه، فإنه لا خير في كلام لا يدلّ على معناك، ولا يشير إلى مغزاك»[4].

أمّا البناء العام لخطب النكاح عنده: فيتلخّص بـ: الحمد والثّناء لله تعالى، والشهادتين والصلاة على النبي، وتزكية الخاطب، والدعاء، من ذلك قوله: «الحمد لله الذي خلق الإنسان فعدله، وعلّمه البيان ففضّله، وألبسه الإحسان فجلّله... وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدًا عبدٌ بجّله، ونبيٌّ أرسله.. والنّكاح ممّا أباحه الله وحلّله، والسِّفاح ممّا أزاحه وأبطله، واجتماعنا هذا لأمرٍ أبرمه الله وسهّله، وهذا فلان بن فلان ممّن بسط إليكم أمله، وجعل عليكم مُعَوَّله، وهو يخطب فتاتكم فلانة بنت فلان المقسومة إن شاء الله له، وقد بذل لها من الصداق كذا وكذا.. فاقبلوا رحمكم الله منه ما بذله وأجيبوه إلى ما سأله.. وأستغفر الله العظيم لي ولكم»[5].

---

[1]– شرح خطب ابن نباتة: ص: 168؛ وانظر: ص: 98، 133، 137، 139.

[2]– التأثير في الجماهير عن طريق الخطابة: ص: 153.

[3]– انظر: الخطابة العربية في عصرها الذهبي: ص: 226.

[4]– البيان والتبيين: ص: 114/1.

[5]– شرح خطب ابن نباتة: ص: 303.

فهي خطبة قصيرة، ملائمة لمقتضى الحال، على غاية من الفصاحة والبلاغة[1].

بناء خطب العيد والاستسقاء:

الحمد والثناء لله تعالى، والشهادتان، والتكبير، وزيادة الوعظ، وقراءة سورة قصيرة، والدّعاء[2].

- وتقودنا دراسة البناء الفكري في خطب ابن نباتة للنتيجة الآتية:

اتسمت معظم خطب ابن نباتة، بالوحدة، والترتيب، والوضوح.

الوحدة: وذلك أن تتبع مسائله كلها من ينبوع واحد، كأنصاف أقطار الدائرة تتشعّب كلّها من مركز الدائرة، وقد رأينا أن مدار خطب ابن نباتة كلها على الوعظ والإرشاد، وحضّ الناس على القتال، والانخراط في الحياة الاجتماعية في عصره (مباركة بعض الظواهر الاجتماعية، والسّعي لإنجاحها وإتمامها كالزواج).

الترتيب: فيعرض الخطيب موضوعه متسلسلًا، يسلم كل جزء إلى ما بعده، وبذلك تمهّد الأجزاء كلها إلى النتيجة التي يريدها، وهذا ما وجدناه في جميع خطب ابن نباتة، فالفكرة الأولى تمثّل تمهيدًا للتّي تليها، أو ترتبط بها ارتباط السبب بالنتيجة، أو ارتباط المُجمَل بالتفصيل، أو المُبهَم بالتفسير، أو المسألة بالدليل، أو غير ذلك مما وجدناه في الأدلة الخطابية والمنطقية.

الوضوح: وهو أساس للخطبة الناجحة[3]، وأفكار ابن نباتة واضحة كلَّ الوضوح في معظم خطبه، ففي خطبة يذكر فيها كسوف الشمس، يفتتحها بمقدمة مناسبة عن الآيات الكونيّة التي يجعلها الله عبرةً للناس:

«الحمد لله مظهر الآيات عِبَرًا للناظرين، وصارف النّازلات عن المتّقين الذاكرين، وموجب المزيد من نعمه للمستجيبين الشاكرين، أحمده على أسبال ستره الجميل، وأعوذ به من وبال مكره الوبيل»[4].

ثم ينتقل إلى العرض، مستعينًا بالأدلة العقلية (الانتقال من العام إلى الخاص)، وداعيًا الناس إلى الاعتبار بهذه الآية (الكسوف) «أيها الناس: إنّ آيات الساعة مترادفة تترى، كنظام الجوهر تتبع كل واحدة منها الأخرى، فلا تزال عظماها تنسيكم الصغرى،

---

[1]- وانظر: الخطبتَين الأخريين في النكاح: ص: 301، 303.

[2]- انظر: الخطب: ص: 186، 192، 281، 287.

[1]- انظر: فن الخطابة: ص: 152.

[2]- شرح خطب ابن نباتة: ص: 198.

حتى يختمها الله لكم بالطامّة الكبرى. فما فعلت العبرة التي رأيتموها بالأمس، من ظهور الكواكب نهارًا، واسوداد الشمس، أأحدثت في قلوبكم وجلًا ؟»[1].

فكان العرض متلاحمًا مع المقدمة، مناسبًا لها، ثم يختم بخاتمة مناسبة أيضًا، فنشعر أن كل جزء من الخطبة يقود إلى الجزء الذي يليه: «إنّ أنفع ما حُسمت به الأسقام، وأبلغ ما لقحت به الأفهام، كلام من لا يشبه كلامَه كلام ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾»[2].

– وبدأ خطبته التي يذكر فيها ظهور الأعداء، بتحميد مناسب لموضوع الخطبة، يعرِّض فيه بعاقبة مَنْ يعصي أمر الله بإعداد العدّة للأعداء: «الحمد لله معزِّ مَنْ أطاعه واتّقاه، ومذلّ مَنْ أضاع أمره وعصاه، الذي وفّق أهل طاعته للعمل بما يرضاه، وحقّق على أهل معصيته ما قدّره عليهم وقضاه، أحمده على حلو نعمه ومرّ بلواه»[3].

وفي (العَرْض)، يدعو إلى إعداد العدّة للحرب، مستعينًا بأدلّة عقلّية (التجزئة): «فجنِّدوا الجنود، وسحبوا البرود، ورفعوا البنود، وتخيّلوا الخلود، واصطنعوا الصّنائع، واقتطعوا القطائع، واتخذوا المصانع، وأمّنوا القوارع»[4].

– ثم يختم بخاتمة مناسبة يعود فيها إلى التعريض بتقاعس جنود سيف الدولة – في هذه الوقعة – وتكاسلهم: «إنّ أجمع الكلام لأصناف التحذير، وأنفع المقال للقلب الضرير، كلام من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير: ﴿ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾»[5]. فأجزاء هذه الخطب[6] مترابطة متلاحمة، فكلّ جزءٍ مترتّب على سابقه، ممّا جعل

---

[3]– المصدر السابق.

[2]– المصدر نفسه.

[3]– شرح خطب ابن نباتة: ص: 93.

[4]– المصدر السابق: ص: 94، الصّنائع: جمع صنيعة وهي المعروف والإحسان، المصانع: الحصون، القوارع: النوائب الشديدة.

[5]– المصدر نفسه: ص: 95، 96؛ والآية: سورة الروم: ص: 41.

[6]– وبدأ خطبة موضوعها (النهي عن الفتنة) بتحميد مناسب لهذا الموضوع، وفي العرض عرَّف الفتنة وبيَّنَ مخاطرها على حياة الناس، ثم انتقل بعد ذلك إلى التحذير من هذه الفتنة، مثبّتًا المعنى بآيات مناسبة من القرآن الكريم، وبحديث نبوي شريف (أدلة خطابية) ثم ختم بالدعاء المناسب للمعنى ذاته.

–انظر: ص: 85؛ وللاستزادة انظر الخطب: ص: 49، 53، 85، 96...الخ.

خطبه مأنوسة تلتذّ بها الأسماع، وتعجب بها النفوس، وتتقبّلها القلوب.

خاتمة:

هدفت الدراسة إلى بيان اضمحلال فنّ الخطابة السياسيّة والاجتماعية والحفليّة في العصر العباسي الثاني/القرن الرابع الهجري، وازدهار فنّ الخطابة الدينيّة، والخطابة الحربيّة على نحو أقلّ. كما هدفت إلى التعريف بخطيب الخطباء ابن نباتة الفارقي، ودراسة خطبه دراسة تحليلية تتناول المضمون والبناء الفكري، على أن تتم دراسة البناء الفنّي والعناصر الشكليّة في مقالة أخرى. وتبيّن إبداع ابن نباتة في تحميداته، فكانت مناسبةً لمضامين خطبه، كلَّ المناسَبة. كما تبيّن اعتماد الخطيب – في العرض – على الأفكار، والحجج، والأدلّة المنطقيّة، إلى جانب الأدلّة الخطابيّة التي تعتمد على إثارة العاطفة والوجدان في نفوس الجماهير. وتبيَّن – أخيرًا – أنّ من أهمّ مقوّمات خطب ابن نباتة التسلسل والتنظيم، والاقتباس من القرآن الكريم، واستخدام المقابلة والتمثيل وغيرها من الأساليب التي تنبّه الحسّ الجمالي والمتعة في النفوس، فضلًا عن أثرها العظيم في إثارة الشعور.. وما كان لهذه المقوّمات أن تستقيم إلا مع براءة لسان المبدع (ابن نباتة)، وصلاح نفسه، وسداد رأيه، وفصاحته وبلاغته...

المصادر:

1. القرآن الكريم.
2. أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، [د. ط]، دار المعرفة، بيروت.
3. الإشارات الإلهية: علي بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدي، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، ط1، وكالة المطبوعات، الكويت؛ دار القلم، بيروت، 1981م.
4. إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: أحمد صقر، ط4، دار المعارف، مصر، [د.ت].
5. إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: محمد راغب الطباخ الحلبي، صححه وعلق: عليه محمد كمال، ط2، دار القلم العربي، حلب، 1409هـ.
6. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: إسماعيل بن محمد الباباني البغدادي (1399هـ)، عني بتصحيحه محمد شرف الدين بالتقايا ورفعت الكليسى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
7. البيان والتبين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998م؛ دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ.
8. تلخيص الخطابة: أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت؛ دار القلم، بيروت، [د.ت].
9. سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، [د.ط]، دار الحديث، القاهرة، 2006م.
10. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد (ابن العماد)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1986م.
11. شرح خطب ابن نباتة: الشيخ العلامة طاهر بن صالح الجزائري المتوفى (1338هـ)، قدّم له واعتنى به أحمد فريد المزيدي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1428هـ.
12. شرح نهج البلاغة: عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، [د.ط]، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، [د.ت].
13. القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ط1، مؤسسة النوري للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1987م.

14. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، [د.م]، 2003م.
15. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1420هـ.
16. مرآة الجنان: أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
17. معجم الأدباء: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.
18. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.
19. نهاية الأرب في فنون الأدب: أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين النويري، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423هـ.
20. وفيات الأعيان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، [د.ط]، دار صادر، بيروت.

المراجع:

1. أعلام النثر الفني في العصر العباسي: عمر الدقاق، دار القلم العربي، ط1، دار الرفاعي، حلب، 2004م.
2. التأثير في الجماهير عن طريق الخطابة: ديل كارنيجي، ترجمة: رمزي يس؛ وعزّت فهيم صالح، مراجعة: إبراهيم جمعة، [د.ط]، دار الفكر العربي، [د.ت].
3. تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين): إحسان عباس، ط5، دار الثقافة، بيروت، 1978م.
4. الخطابة (تاريخها، قواعدها، آدابها): حسين جمعة العاملي، ط1، مطبعة وزنكو غراف الفكر، بيروت، 1983م.
5. الخطابة العربية في عصرها الذهبي: إحسان النص، دار المعارف، مصر، 1963م.
6. الخطابة بين النظرية والتطبيق: محمود محمد عمارة، ط1، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، 1997م.
7. الخطابة: أرسطو، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، [د.ط]، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، [د.ت].

8. الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية: عبد الله الغذامي، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.
9. سيكولوجية الجماهير: غوستاف لوبون، ترجمة: وتقديم هاشم صالح، ط1، دار الساقي، 1991م.
10. ضحى الإسلام: أحمد أمين، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت، [د.ت].
11. ظهر الإسلام: أحمد أمين، ط3، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1962م.
12. عشرة أدباء يتحدّثون: فؤاد دوّارة، ط3، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996م.
13. العصر العباسي الثاني: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، [د.ت].
14. فنّ الخطابة: أحمد محمد الحوفي، ط3، دار الفكر العربي، [د.ت].
15. في الميزان الجديد: محمد مندور، [د.ط]، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، [د.ت].
16. قضايا الشعرية: رومان ياكبسون، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنوز، دار توبقال للنشر، 1988م.
17. مواكب الأدب العربي عبر العصور: عمر الدقاق، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1988.
18. النثر الفني في القرن الرابع: زكي مبارك، [د.ط]، دار الجيل، بيروت، 1975م.
19. نظرية البنائية في النقد الأدبي: صلاح فضل، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1998م.